سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩)

بقلم امير بقطر

ذهبت فى عطلة عيد القيامة الماضى (مارس سنة ١٩٣٩) إلى « همستد هيث » فى انجلترا لزيارة الشيخ العالم للمرة الثانية ، فقد كنت زرته فى عيادته الشهيرة فى ڤينا منذ ثلاثة أعوام مضت . « وهمستد هيث » هذه ضاحية من أجمل ضواحى لندن يقصد اليها أصحاب المزاج والذوق ، وبيوتاتها الصغيرة و « ڤلاتها » البديعة القائمة على ربوة عالية ، تكتنفها حدائق وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، يقطنها عدد كبير من الكتاب والأدباء والشعراء ورجال الفنّ ، وقد شاهدنا هناك من علماء النفس غير فرويد « سيرل برت » الاستاذ « بكلية الجامعة » من كليات جامعة لندن ، وقد لخصنا كتابه الشهير « الطفل المتأخر » فى المقتطف ، ولخصت كتابه « الطفل الجامح » فى مجلة التربية الآنسة فكريه زكى . ذهبنا لزيارة فرويد فى مغتربه هناك فوجدناه عليلاً لا يرجى شفاؤه ، وقد أشرف على منتصف العقد التاسع من عمره . وبينما كان يناضل النضال الأخير فى سبيل البقاء ، كانت المطابع تشتغل بإخراج مؤلفه الأخير « موسى » وقبل أن نغادر انجلترا كان كتابه معروضاً فى واجهات المكاتب فى جميع أنحاء انجلترا وسكوتلندا ، وقد برهن فيه بوثائق تاريخية وحجج علمية،أن ذلك النبى العظيم لم يكن إسرائيلياً وانما كان مصرياً صميماً .

وإذا ما تحدثنا عن فرويد ، فانما نتحدث عن نظرية اهتزت لها الأوساط العلمية، فسمع لهزتها دويّ لا يدانيه فى عالم الإنسانية دويّ آخر سوى نظرية كارل ماركس فى الاشتراكية . والحقيقة أن فرويد وماركس يمثلان غريزتين هما بلا منازع أقوى الغرائز البشرية ، بل هما أساس جميع هذه الغرائز أو الدوافع الإنسانية . فكارل ماركس يمثل غريزة المحافظة على النفس ، التى هى فى الحقيقة أساس عدة غرائز هامة ، كالجوع والخوف والغضب والحسد والقتال . وفرويد يمثل غريزة المحافظة على النسل

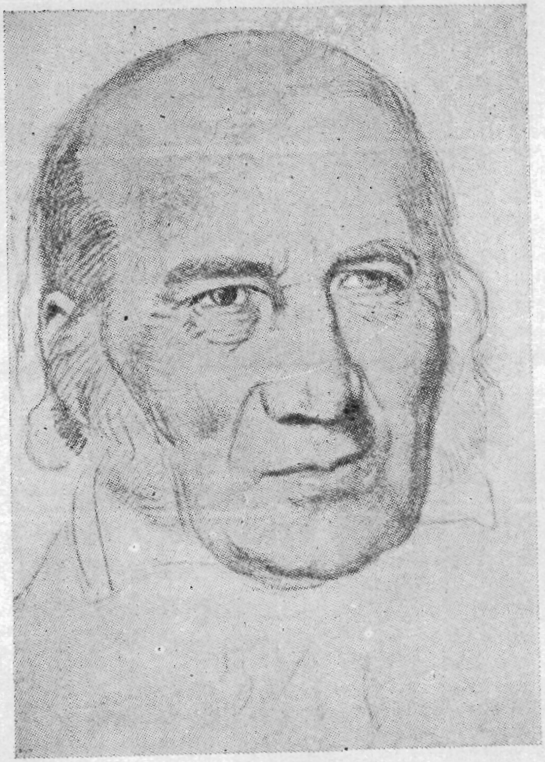

جرنتوج زعيم المدارس الشعبية ومؤسسها فى دانيمركة

N F. S. Grundtvig (1783-1872)

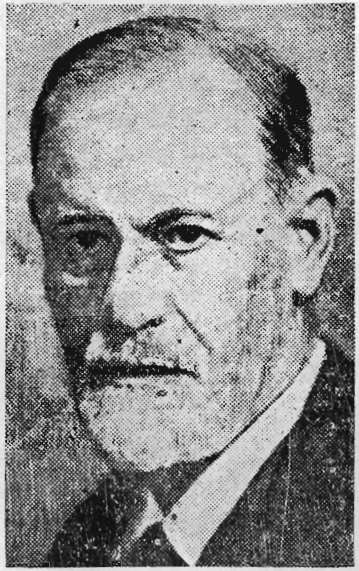

سيجمند فرويد (١٨٥٦—١٩٣٩)

أو الغريزة الجنسية ، التى هى فى الواقع أساس عدة غرائز هامة ، كالحبّ ، والغيرة ، والميل للجنس الآخر . وجميع المشاكل الاجتماعية وآلام الانسانية أفراداً وجماعات ، تعود فى نظر كارل ماركس ، الى غريزة المحافظة على النفس وتتركز فى المسائل الاقتصادية – المال . وجميع آلام الأفراد واتجاهاتهم العامة ، تعود فى نظر فرويد إلى الغريزة الجنسية – المرأة ، وتتركز فيها . ومهما اختلف العلماء فى مناهضة كل من هذين العبقريين أو تأييدهما ، فإنهم يتفقون على أن مشاكل الأفراد والجماعات ، مهما كانت أوصافها وأشكالها ، تدور غالباً على محورى هاتين الغريزتين – المحافظة على النفس والمحافظة على النسل – أو المسائل الاقتصادية والمسائل الجنسية – أو كما سميناها فى مقال نشرناه فى « الهلال » « المال والمرأة »

وقد كان «الفرد أدلر» الطبيب السيكولوجى النمساوى ، وقد توفى فى ڤينا منذ سنوات ثلاث ، زميلاً لفرويد وشريكاً له ، إلى أن اختلف معه فى الذهاب إلى هذا الحدّ فيما يتعلق بالدوافع الجنسية (وكان فرويد يسميها libido للتفريق بينها وبين sex) ، وذهب فى طريق آخر نشر فيه عدة مؤلفات تدور حول رأى آخر ملخصه أن اتجاهات المرء تتأثر « بحب السيطرة » أكثر من كل شىء آخر . وما يقال عن «الفرد أدلر» يقال عن «يونج» الطبيب السيكولوجى السويسرى ، وهو حىّ يرزق ، ويخالف كلاً من أدلر وفرويد فى أنه يعزى هذه الاتجاهات الى قوة أخرى غير «حب السيطرة » وغير « الدافع الجنسى » وهذه القوة مزيج من عدة عناصر حيوية لا مجال لذكرها الآن

وسأحاول فى هذه العجالة أن أضع أمام القارىء فذلكة عن حياة « فرويد » وشىء من أهم آرائه واذيّل البحث بمؤلفاته أو بما صنف من الكتب شرحاً لها ، –

* **

ولد سيجموند فرويد من أبوين اسرائيليين فى ٦ مايو سنة ١٨٥٦ ونشأ فى بيئة اسرائيلية فى مدينة فرايبرج من أعمال موراڤيا (Freiberg, Moravia) وانتقل مع أفراد اسرته الى ڤينا عاصمة النمسا وهو فى الرابعة من عمره ، وظل هناك إلى أن طرده النازى مع من طرد من اليهود العام الفائت، أثر دخول هتلر النمسا وابتلاعها لقمة سائغة .

وكان فرويد فى صغره لا يميل للطب ، ولكنه كان يهوى المباحث العلمية و يؤثرها على ما عداها ، إلى أن وقع نظره على رسالة لغوته عنوانها Die Natur ، فتأثر بها تأثراً شديداً حتى اختار الطب دراسة له ومهنة ، وولع فى سنواته الأولى بدراسة علم النبات على الأخصّ . واشتغل من ١٨٧٦ - ١٨٨٢ فى معمل الفسيولوجيا على يدى الدكتور بروك Brucke ، ومن ثمّ فى معهد التشريح المخى على يدى الدكتور Meynert وتخرج فى الطب سنة ١٨٨١ . ولكنه ارتطم بصخرة الأزمة المالية ، كأكثر الأطباء فى بدء عهدهم ، فأوقف مباحثه العلمية ، والتحق بعيادة خاصة بالأمراض العصبية

وفى سنة ١٨٨٤ التقى بالطبيب النفسانى الشهير يوسف بروير (Bruer) فى ڤينا ، فقصّ عليه هذا الأخير قصة عجيبة استهوته حتى استولت على مشاعره،وحولت اتجاهه العلمى إلى ناحية قصيّة من نواحى الأسرار البشرية . وتتلخص هذه القصّة فى أن « بروير » جاءت اليه شابة مصابة بالهستريا (وهو مرض يصاب به النساء عادة دون الرجال ، وكلمة هستريا ذاتها مأخوذة من الكلمة الاغريقية hyster ومعناها « رحم المرأة » لاعتقادهم أن هناك صلة بين الرحم وهذا المرض)،فلما نوّمها تنويمًا مغناطيسياً ، أخذ يستدرجها فى غيبوبتها (hypnoses) الى الظروف والملابسات التى كانت أصل هذا المرض ، فعلم منها أنه يرجع إلى ذكريات قديمة تتصل بفترة كانت تمرّض فيها والدها ، فأمرها أن تستعيد تلك الذكريات و « تعيش » فى جوها ، وتستعرض عواطفها ، ففعلت ، وما لبثت أن شفيت . وقد أصبحت فيما بعد هذه الطريقة الغريبة (cathartic) أساس التحليل النفسانى ، الذى اشتهر بها بعد «يوسف بروير »والطبيب الشهير الفرنسى شاركو (Charcot) وزميله بير جانيه (Pierre Janet)

وفى سنة ١٨٥٥ رحل فرويد الى باريس حيث قضى أكثر من عام يدرس الأمراض العصبية على يدى « شاركو » ، وقد كان للتشجيع الأدبي الذى لاقاه هناك أثره فى تلك الخطوة الجريئة التى قام بها فرويد بعدئذ ، وذلك أنه نسب الهستريا إلى أسباب سيكولوجية ، وبحثها على ضوء تلك الأسباب . بيد أن دراساته أقامت عجاجًا من الاستياء بين رجال الطب ، ومنهم زملاؤه وأقرب المقربين إليه . وكان أكثر هذا الاستياء مصدره الحسَد ، بيد أن بعضه كان يعزى الى أن مبادىء « فرويد »

ثورة على الطب والعلم الذى لم يكن ليقرّ غير المسائل الجثمانيـة ، ولم يكن ليعترف بتلك الغوامض والأسرار اللاجثمانية التى تحـدث عنها فرويد . ولا يزال فرويد إلى يومنا هذا يعدّ فى بعض الدوائر العلمية والطبية من الهراطقة ،رغم أن جماعات «فرويد» وجماعات التحليل النفسانى ومجلاته تملأ الآفاق

ونشر فرويد بعد ذلك عدة مؤلفات خصوصاً فى العجز عن النطق السليم (aphasia) والشلل المخى عند الأطفال . وفى سنة ١٨٩٣ حمل زميله « بروير » على نشر رسالة فصّل فيها حكاية الفتاة المريضة بالهستريا السالفة الذكر ، وعاونه فى كتابة مؤلف سنة ١٨٩٥ عن الهستريا ، وهو من أهم ما كتب فى الموضوع وعنوانه بالألمانية

Studien uber Hysterie

واختلف بعد ذلك مع « بروير » وفض شركته معه ، وأهمل طريقـة التنويم المغنطيسى كوسيلة لإخراج الذكريات الدفينة من العقل الباطن ، واستبدلها بطريقـة « تداعى المعانى الحرّ » free association . وهـذه العبارة ومثلها كلمة complex التى تحدث عنها فرويد كثيراً،من العبارات التى صاغها الدكتور يونج (jung) . وهذه الطريقة هى حقيقة نواة التحليل النفسانى . وقد أدّى به البحث إلى اكتشاف مسـائل كثيرة خاصة بالأمراض العصبية النفسية (psychoneurosis) ، وطبق هذه فيما بعد على الأحوال العادية التى يكون فيها العقل سليماً من الأمراض

وتتلخص مبادىء فرويد ونظرياته من هذه الناحية فى أمور ثلاثة : –

أولها - إن بجانب العقل الواعى الذى نعرفه عقـلاً سماه بالعقل الباطن ، وما هذا إلاّ مخزن تتجمع فيه الرغائب والميول التى لا تسمح لنا العادات والتقاليد والقوانين والأديان والآداب العامة بالجهر بها . وقد ننساها حقيقة أو نتناساها ظاهراً ، ولكنهـا على كل حال تنفجر كالبـارود إذا لم تجد لها منفذاً . وليس الحـدّ الفاصل بين العقلين من الضبط بحيث يمكن تعيينه ، وإنما العكس صحيح ، فهما متدخلان إلى حد محدود . وقد شبّه أحد علماء النفس هذا التدخل بثلاث طبقات من الماء والهواء ، إذا تصورنا « عوامة من الخشب » ثابتة فى نقطة معينة من البحر . فجزء من هـذه العوّامة يكون دوماً فى الهواء أى خارج الماء ، هذا الجزء يقابل « العقل الواعى » (conscious) ،

وجزء يكون طوراً فى الماء وطوراً فى الهواء تبعاً للأمواج والرياح ، وهذا الجزء يقابل العقل الباطن (subconcious) ، وجزء يكون دوماً تحت المـاء وهو يقابل العقل غير الواعى (unconscions)

ثانيها – ان تقسيم العقل إلى هذه الطبقات الواعية والباطنة واللاواعية يدعو إلى الكبت repression or inhibition ، وإن هذا الكبت كما قلنا يؤدى إلى الانفجار ، واختبال الحياة العقلية والأمراض العصبية على اختلاف أنواعها ودرجاتها ، على أن فرويد لم يدعُ بذلك إلى الإباحية أو إطلاق العنـان للميول والشهوات والرغبات ، ولـكنه حدثنا عن نظرية « الإعلاء » (sublimation) التى معناها أن الميول التى لا تتفق والآداب العامة والخلق الكريمة والصحة وغيرها ، يمكن « تعليتها » والسموّ بها ، أى تحويل تيارها إلى ناحية أخرى من النواحى التى يستطيع صاحبهـا أن يظهر مواهبه الدفينة فيها ، سواء أكانت هذه المواهب فنية ، رياضية ، دينية ، أم أدبية . ويقول العلماء تطبيقاً لهذه النظرية ان الساعة التى تشتد فيها رغبة الفرد فى إشباع دافع جنسى مثلاً ، هى عين الساعة التى يستطيع فيها تحويل تلك الرغبـة الى نظم قصيـدة اذا كان صاحبها شاعراً أو ميالاً للشعر ، أو رسم صورة اذا كان صاحبها رساماً ، أو اعداد تمثال اذا كان صاحبها مثالاً ، أو حلّ لغز علمىّ أو اتيان عمل رياضى عظيم الخ الخ

ثالثها – وجود دافع جنسى عند الطفل بعد ولادته بقليل (infantile sexuality) . فمصّ الأصابع،وفرك الفخذين بعضهما ببعض (ضرب من جلد عميره masturbation)، والرغبة فى القبض على الثدى بين شفتيه ، حتى فى غير أوقات الرضاع ،كلها دلائل هذا الدافع الجنسى . وكلما كبر الطفل وجد ذاته مكبلاً بالحديد ، فيعمد الى كبت ميوله وينشأ عن ذلك النزاع الدائم بين العقل الباطن والعقـل الواعى ، ويؤول الصراع فى معظم الأحايين الى ارتباكات عصبية تبدو فى السنوات المقبلة فى الشباب والكهولة ، وليس ذلك وحسب ، بل يكون هذا الصراع عنصراً فعالاً فى تكوين خلق الطفل .

ولم يلق فرويد مقاومة فى آرائه بأكثر مما لاقى فى الكلام عن الدوافع الجنسية عند الأطفال . ولا يختلف العلماء فى أن الطفل يحسّ باللذة الجنسـية قبل بلوغه سنّ

الحلم ، فهو بلا شك يحسّ بها وهو فى السنة الثانية من عمره فما فوق على الأقل . ولكنهم لا يوافقون فرويد فى ما ذهب اليه من الاسترسال فى الكلام عن تعلق الابن بأمه (Oedipus) أو البنت بأبيها (Electra) تعلقاً جنسياً . فقد يكون هذا من قبيل الشواذ والشاذ لا يعوّل عليه . بيد أننا نقول إنصافاً لفرويد أن معظم اللوم فى هذا الاسترسال عائد على تابعيه أو بعضهم ، لا على فرويد ذاته ، فالكثير من هؤلاء يبالغون فى هذه المسألة مبالغة لا يبررها العقل أو الدافع . وقد سمعنا سيدة من أصل ألمانى ، شديدة الغيرة على مذاهب فرويد ولها فيها مؤلفات هامة – سمعناها تخطب فى جامعة من أشهر جامعات انجلترا فى فبراير من هذا العام ، على جمهرة من الأساتذة ، ومما جاء فى محاضرة من محاضراتها الثلاث ، أنها فى تجاربها شاهدت غلاماً تبدو على وجهه علائم الغيرة والامتعاض كلما رأى مسماراً مدقوقاً فى حائط ، ولما أن حللته تحليلاً نفسانياً وجدت أن هذا الذى يرى يذكره بالعلاقة الجنسية بين أبيه وأمه . ولست أدرى إلى أى حدّ تبلغ سخافة السخفاء فى هذا الموضوع ، وإن كانوا من علماء النفس

كل ما أراد أن يقوله فرويد هو أن الطفل الوليد «يوزع» عطفه وحبه على كل من يتصل بهم من والدين واخوة ومربيات وخدم ، ويغدق هذا الحب مضاعفاً أضعافاً على أُمه لشدة اتصاله بها ، فإذا ما اشتغلت بالأعمال المنزلية ، أو لهاها الزوج عنه، أخذ عداء الطفل نحوها يجد إلى قلبه الرخص سبيلاً ، ودبت فى نفسه الغيرة نحو الأب ، ومتى تكررت هذه الوقائع اشتد غيرة وكراهية ، ووجد نفسه بين عاملين ، عامل الحب نحو أحد والديه ، وعامل الكراهية أو الغيرة . وسمّى فرويد هذا التناقض الشاذ فى حياة الطفل بالعاطفة المزدوجة ambivalent ، ولكن سرعان ما يبلغ الطفل سن الحُلُم حتى يوجه هذا الحبّ الذى يشمل عنصراً كبيراً من العاطفة الجنسية نحو فتاة إذا كان ذكراً ، أو فتى إذا كان أنثى . أمّا إذا لم يوجه التوجيه الصحيح لجهل الأبوين أو لشذوذ خاصّ فيه فتبقى هذه العاطفة فيه كما هى أى أن الابن قد يستمرّ (وهذا فى حكم النادر) مولعاً بأمه ، أو لا يهوى فتاة إلا كانت شبيهة بها ، وكذلك البنت تستمر مولعة بأبيها أو لا تهوى شاباً إلا إذا كان شبيهاً بأبيها ويصبح هذا « عقدة » (Complex) أو مرضاً يدعى كما سبق القول Oedipus فى الحالة الأولى و Electra فى

الثانية . وكل من العبارتين مستعار من الإغريقية ، فقد كان لقدماء اليونان معرفة بهما ، وما على القارىء إلا أن يرجع إلى روايات صوفوكليس « التراجيدى » . ولا بد أن يذكر القراء رواية « اوديب الملك » التى كانت تمثل على المسرح المصرى الى عهد قريب . ويوجد فى دار الآثار المصرية لوحات برمتها اكتشفت على جدران قديمة فى مصر العليا منذ سنوات قليلة تمثل وقائع هذه الرواية ، رواية اوديب Oedipus التى تزوجت فيها امرأة من ابنها . . . وفى اميركا رواية تمثيلية مشهورة ، لمؤلفها « اونيل » أشهر روائى فى اميركا واسمها Mourning Becomes Electra وهى مأساة حديثة نسج مؤلفها على منوال صوفوكليس ، وتدل الكلمة الأخيرة على مغزاها

وما تحدث عنه فرويد من العقل الباطن أمر قد عرفه القدماء كما أسلفنا ، ومن أقوال ماركوس اوريليوس الرومانى التى عثرنا عليها فى مطالعاتنا قوله « انظر إلى الباطن تجد من الطيبات نبعاً لا ينضب معينه ، فكلما عملت فيه يد الحفر والتنقيب تدفق منه الماء وفار « كما تفور القدور » . ومما جاء فى الانجيل (متى ١٥ : ١٩) قوله . . . « لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف . . . »

وقد أدت نظرية العقل الباطن بفرويد إلى الكلام عن الأحلام طويلاً ، وكتابه فى الأحلام من أضخم مؤلفاته . فالعقل الباطن فى نظره مصدر الأحلام والرؤى والخيالات الغريبة والمخاوف غير المعقولة ، وميول الهواة ورغباتهم ، ومنبع السلوك الشاذ ، وأحلام اليقظة ، والنسيان ، والتمسك بالآراء والمعتقدات تمسكاً أعمى . والفرق عنده بين عالم اليقظة وعالم الأحلام أن الأول متاع مشاع يشترك فيه الجميع ، أما الثانى فيحال فيه الفرد على الاستيداع ، فيصبح ذلك العالم له وحده

* * *

لنعد الآن بالقارىء الى الحلقات الباقية من حياة فرويد : اشتغل فرويد بعد ذلك وحده فى عيادة سيكولوجية مدة عشر سنوات ، وفى سنة ١٩٠٦ اشترك معه عدد من الزملاء أمثال ادلر ، وبرل ، وفرنزى ، وارنست ، وجونز ، ويونج - ويذكر القراء على الأقل الأول والأخير منهم ، وانضم اليهم سدجر ، وشيتكل وغيرهم من علماء

التحليل النفسانى الذين التقى بهم سنة ١٩٠٨ عند التئام أول مؤتمر للتحليل النفسانى ، ذلك المؤتمر الذى أصبح منذ ذلك الحين دورياً ينعقد مرة كل سنتين. وفى سنة ١٩١٠ تكونت جماعة دولية ، انتشرت فروعها فى جميع أنحاء اوروبا وأميركا ، ويرجع عهد الجماعة البريطانية الى سنة ١٩١٣ ، ولهذه الجماعة ثلاث مجلات رسمية . وقد بلغ عدد الأخصائيين المعروفين فى التحليل النفسانى منذ سنوات قليلة مضت مئتى عالم ، ولا بدّ أن هذا العدد قد تضاعف اليوم . ولم ينحصر أثر فرويد فى علماء التحليل النفسانى ، ولكنه تعداهم إلى جميع علماء النفس . ورغم ما لقيه من المقاومة الشديدة – وما يلقاه إلى يومنا هذا – خصوصاً فى موضوع العقل الباطن والأهمية التى يعلقها على العاطفة الجنسية ، فإنه بلا شك قد دفع علم النفس إلى الأمام ، ووضعه فى مصاف العلوم الطبيعية . ومما يدلّ على منزلة فرويد أنه عندما بلغ السبعين من عمره انهالت عليه التهانىء من الأفراد والهيئات العلمية من كل صوب

ويوجد بالألمانية مؤلف ضخم به تاريخ حياته ، وأهم رسائله العلمية ، ويغلب على الظن أن الألمان قد أحرقوها عند طرده من ڤينا مع سائر العلماء اليهود . ولكن معهد الدراسات التحليلية فى لندن قد نشر أهم كتبه ورسائله بالانجليزية ، علاوة على انه يصدر مجلة التحليل النفسانى الدولية

* * *

وبين العلماء من يأسف لتحوّل فرويد من شفاء الأمراض بالتنويم المغناطيسى إلى شفائها بالتحليل النفسانى . فقد ظل التنويم – وكانوا يسمونه « المسمرة » Mesmerism نسبة إلى العالم « مسمر » "Franz Anton Mesmer" ويقول هؤلاء ان التنويم كوسيلة لشفاء الأمراض معروف منذ القدم ، ويذهب « كلفورد الن » مؤلف ذلك الكتاب العظيم « الاكتشافات الحديثة فى السيكولوجيا الطبية » – يذهب إلى مدى بعيد بقوله ان الأنبياء كانوا منوّمين . وقد استعمل طبيب بريطاني اسمه « ازدايل » James Esdaille التنويم فى ٣٠٠ عملية جراحية فى الهند ونجحت جميعها . ويندبون سوء الحظ لاكتشاف الكلوروفورم الذى قضى على تجارب ذلك الطبيب وغيره قضاء مبرماً ، إذ لو تأخر هذا الاكتشاف عشرين

سنة ، لكان للتنويم شأن كبير في الجراحة اليوم . ولكن . . . بالرغم من هذا كله فإن جمهرة العلماء اليوم يؤثرون التحليل النفسانى على التنويم المغنطيسى فى شفاء الأمراض النفسية Psychotherapy

ولا يسع المطلع إلاّ أن يدهش لما طرأ على آراء كبار الأطباء من التغير فى نظرتهم إلى علم النفس والتحليل النفسانى . فبعد أن كانوا جميعهم (رغم أن أعظم علماء النفس أطباء) تقريباً ينظرون إلى العلوم النفسية نظرة الازدراء والاحتقار ، أصبح عدد يذكر من فطاحلهم يطبق مبادىء تلك العلوم على الحالات التى ترد اليهم . وقد شاهدنا هذه الظاهرة فى هذا العام بكثرة غريبة فى انجلترا ، وقد كانت إلى عهد قريب شديدة العداء من هذه الناحية ، وكانت تتهم اميركا بتطرفها . ونظرة واحدة الى مكتبات الجامعات وواجهات المكاتب ومعاهد العلوم النفسية الطبية فى بريطانيا ، ولندن على الأخص ، يؤيد ما نقول . وقد نشط الأطباء فى الأعوام الأخيرة ، منذ أن كتب دكتور منتى كتابه « سان ميشيل » ودكتور كرونن[1] كتابه الشهير "The Citadel" (وقد وضع فى شريط سينمائى ناطق) ، فأغرقوا السوق الأدبى بطوفان من الكتب التى يحاول فيها مؤلفوها تأليه العلوم النفسية وبيان ضرورتها فى معالجة المريض فى جميع الأحوال . وانني أنصح القارىء الذى يهمه هذا الموضوع أن يقرأ الكتاب الأخير الذى وضعه سر لنجدن برون الطبيب الشهير والأستاذ بجامعة كمبردج سابقاً[2] ، وقد ظهر فى ربيع هذا العام ، وأن يطلع على المؤلف الطلى الذى وضعه Loumis[3] فى موضوع « غرفة الاستشارة » ، والمؤلف طبيب لأمراض النساء ، وقد ضمّن كتابه زبدة اختباراته ورسم للقارىء صورة بديعة لأنهار الدموع التى سكبها النساء فوق مكتبه فى « غرفة الاستشارة » . وأهيب بالقارىء أن يقرأ أيضاً المقالات العظيمة التى ما برح « كرونن » و « الكس كارول » يحررانها فى المجلات الاميركية الشهرية ، أمّا كتب فرويد فقد ذيلت بها هذا المقال خدمة لمن يشاء

---

(١) Dr. J. A. Cronin

(٢) Sir W. Langdon-Brown, " Thus We Are Men "

(٣) Frederic Loumis, "Consulting Room"

إلا أن المبادىء التى أوردها فرويد فى مؤلفه الجامع « الأحلام » فلا يقره عليها العلماء ، إلاّ من ناحية واحدة وهي أن الأحلام منفذ تقذف منه ما تكدّس فى العقل الباطن من الرغبات المكبوتة . ويكاد « يونج » يتفق معه فى نظرية الأحلام من حيث علاقتها بالماضى والحاضر ، على أن « يونج » يزيد على ذلك أن الأحلام أيضاً تدل على المستقبل بمعنى أنها تبين اتجاه الهدف الذى يرمى اليه صاحب الحلم فى المستقبل .

ولعل علماء النفس يجمعون اليوم على ان كلاً من المذاهب السيكولوجية لها مكانها فى النهضة العلمية . « فالفرد ادلر » قد أظهر لنا بصورة لا تقبل الشك أن « حب السيطرة والظهور » لها أكبر أثر فى تكوين الشخصية ، كما أن فى عالم الاقتصاد قد برهن لنا « كارل ماركس » ما للشعور بالطمأنينة الاقتصادية من الأثر فى شخصية الأفراد والجماعات ، وكما جاهد فرويد فى الدفاع عن العاطفة الجنسية كأكبر عامل يؤثر فى حياة الأفراد . ولعل سر « لنجدن برون » فى كتابه السالف الذكر قد أبدع بتعليقه على هؤلاء فى قوله « ان الفرد فى سن الحُلُم (أو من يعيش فى ذلك الطور وإن كبر) يؤثر « فرويد » ، وفى سن الرجولة يؤثر « أدلر » ، وفى سن الشيخوخة يؤثر « يونج » وهو الذى يتكلم عن مجموعة عناصر كما أسلفنا

بقى علينا أن نقول كلمة عن فضل فرويد على علماء التربية ، وأثره فى مبادىء التربية ذاتها . أول ما يبدو واضحاً فى جهاد « فرويد » أنه أخرج الكلام عن الموضوعات الجنسية من سحب الحياء وغيوم الغموض والارتباك ، إلى سماء الصراحة ، وعلّم المهيمنين على شئون الطفل من والدين ومعلمين ومربين ومربيات ، أن يواجهوا الحقيقة كما هى ، ويحدثون النشء فى مشاكلهم الجنسية ، كما يحدثونهم فى كل مايطالبون بالإجابة عنه ، مما تدفعهم اليه طبيعة حب الاستطلاع ، وإن إخفاء المعلومات الجوهرية عن النشء فى بدء عهده بالاصطدام بها وبال عليه

وثانياً بيّن « فرويد » بطريقة لا تقبل الجدل أنّ الشذوذ الجنسى « مرض » أو « عقدة » Complex كما يسميه ، ينبغى علاجها ، وان كثيراً من الانحراف الجنسى (perversion) يكون نتيجة خطأ فى تربية الطفل . فاللواط مثلاً لا يعالج بإنزال

العقوبة الصارمة ، أو بالنظر إلى الطفل أو الشاب كمجرم يستحق القصاص ، ولكنه يعالج بما تعالج به الأمراض العقلية ، إذ أنه قد يكون نتيجة لطبيعة كامنة فيه ، وهذا نادر ، ولكنه يكون فى الغالب فريسة البيئة وإهمال الوالدين . كذلك الحال فيما يتعلق « بعقدة اوديب » التى سبقت الإشارة اليها

وثالثًا انه مهما كان « فرويد » مسرفًا فى الأهمية التى يعلقها على العاطفة الجنسية ، فإن من واجب المربين مراعاتها فى حلّ مشاكل النشء ، إذ انها فى كثير من الأحوال تكون أساسًا لارتباكات فى حياة الطالب المدرسية منها والمنزلية . ومعالجة هذه الارتباكات بالتأنيب أو العقوبة البدنية ، كضرب المريض أو المجنون حتى يشفى . ولا يخفى أن الناس كانوا إلى عهد قريب ينزلون بالمجنون أشد العقوبات ، ظنًا منهم أن مثله مثل المجرم . ومما يدل على أن « فرويد » واثق العقيدة فى هذه النقطة أنه أشار إلى « السادزم » و « المسوشزم »[1] كعقدٍ ينبغى علاجها ، وان صاحبها فى معظم الأحايين لا ذنب له فيها ، لأنها نتيجة « تهيج استى anal eroticism ولايخفى أن كلاً من هذين المرضين لا يستطيع المجتمع إلى يومنا هذا العطف على صاحبه أو النظر اليه كمريض جدير بالعلاج

وهنا نضع أمام القراء بيانًا بما نعرفه من مؤلفات «فرويد» أو ما كتبه الغير عنها ، وليس هذا البيان شاملاً بأى حال من الأحوال ، إذ أن رسائل فرويد مبعثرة فى المكاتب الألمانية ، ولم تترجم كلها ، كما أننا لا نعرف إلاّ المهمّ مما ترجم منها :

1) Three papers on the Theory end Practice of Psycho-analysis, by Theodore J. Faithful, (The Forum Pub. Co.)

2) Mental Conflicts of Personality, by Mendal Sherman, (Longman's)

3) Dream Analysis, by Ella Freeman Sharpe, (Hogarth Press, 1937)

---

(١) « السادزم » شذوذ جنسى يدفع صاحبه إلى ضرب آخر أو إيلامه إشباعاً لعاطفة جنسية شاذة فيه . وينسب هذا المرض الى المركيز دى ساد (Marquise de Sade) (١٧٤٠ — ١٨١٤) وقد كتب وهو سجين فى سجن الباستيل روايات مخلة بالآداب ووضع في مستشفى المجاذيب مرتين .

أما المسوشزم أو المسوكزم فهو شذوذ جنسى يتلذذ صاحبه بان يضربه أو يؤلمه آخر .أى انه عكس سابقه وينسب الى الكاتب النمساوى «مسوك» Sacher Masoch (١٨٣٥–١٨٩٥)

4) Adventures in Self-Discovery, by David Seabury, McGraw Hill Book Co.

5) The Language of the Dream, by E. A. Gutheil (Macmillan, N.Y.)

6) Psycho-analysis and Its Place in Life, by M. K. Bradby, Henry Frowde Oxford University Press, (1919)

7) The Psycho-Analytic Study of the Family (5th Ed.), by J. C. Flugel, (1921)

8) The Psychology of Clothes, (Illustrated) by J. C. Flugel (1930)

9) The Ego and the Mechanisms of Defence, by Anna Freud (1937)

10) The Psycho - Analysis of Children, by Klein, Melanie, (1932)

The following are published by the Institute of Psychoanalysis and the Hogarth Press.

11) Beyond the Pleasure Principle, (1922)

12) History of Psychoanalytical Movement, (1924)

13) Papers on Metapsychology and Applied Psychoanalysis, (1925)

14) New Introductory Lectures on Psychoanalysis,)1937)

The following are English translations of Freud's works :-

15) The Interpretation of Dreams, (1900)

16) On the Sexual Theories of Children, (1908)

17) "A Child Is Being Beaten," A Contribution to the Study of the Origin of Sexual Perversions, (1919)

18) Dreams and Telepathy, (1922)